بقلم: طاهر البهي

إذا كانوا يقولون إن الضحك من غير سبب قلة أدب (ولا مؤاخذة)!

فإننا نقول إن الضحك بسبب نكتة هو صحة نفسية وبدنية، ودليل على سلامة العقل والبدن.

وإنني أحلم باليوم الذي يدخل فيه المكتئبون والحزانى والمهمومون على الطبيب النفسي، ثم يخرجون من عيادته وفي أيديهم روشتة مدوَّن بها: أنصح بنكتتين صباحًا ومساءً، ولو عشرة ملليجرامات لكل قرص.. عفواً لكل نكتة!

ولم لا؟!

فأنا أعرف طبيبًا نفسيًا كبيراً ولامعًا، نصح أحد مرضاه بالحجز فوراً في عرض مسرحي لنجم الكوميديا عادل إمام..

وفعلاً ذهب المريض ـ المكتئب شويهـ لمشاهدة العرض المسرحي، وفي اليوم التالي وبعد أن امتلأ قلب صاحبنا بالضحكات، أمسك الموبايل (أبو كاميرتين) واتصل بالدكتووور من خطه البيزنس، وصاح مهللاً: أنا بقيت "نورمال **Normal**" يا دكتووور...

وتلك حكاية حدثت بالفعل، وليس المقصود بها الدعاية لمسرحيات عادل إمام، ولكن الهدف منها الترويج للضحك من القلب.

وفي مرة ثانية سألت إحدى المريضات المكتئبات طبيبها النفسي: إلا

قوللي يا خويا.. أعرف منين إن أنا بقيت كويسة وعال العال؟ فردّ الطبيب وهو يتفحص وجهها: عندما تضحكين على نكتة مهذبة، وتكونين في أفضل حالاتِك لو ردّدتها على صديقة لك!

***

والنكتة التي تستغرق روايتها ثواني معدودة، هي عمل درامي مكتمل الأبعاد؛ فهي حدوتة أو قصة قصيرة، وربما رواية في كبسولة، ولكنها تحتوي على "قافلة"، غير منطقية، وغير متوقعة، وغير عاقلة، وعندما تخاطب العقل الواعي الذي يفكر بالمنطق ويتوقع فقط كل ما هو "معقول"، وعندما تأتي الحكاية بنهايتها على خلاف ما يتوقع العقل، ينتج عن ذلك طلقة صادمة تبرجل العقل، أو تزغزغه.. فيضحك ويصدر أوامره إلى كل حواس البدن والنفس والعقل: اضحك يا قلبي.. جالك نكتة!

***

ولا أحد يعرف حتى الآن على وجه الدقة كيف أو لماذا نضحك، وإن كان الكل قد اتفقوا على أهمية الضحك في حياة الإنسان وأيضًا لحياة الإنسان.

جرب مرة تروح لدكتووور واسأله عن أوجاعك التي ليس لها تفسير.. زي الصداع وغممان النفس، وانعدام الرغبة في الأكل، وعدم القدرة على الاستمتاع، والنغزة اللي بتيجي مش عارف فين.. والإحساس بوجع القلب والكبد والفشة والطحال... وانتظر رد الدكتووور.. سوف يقول لك بكل ثقة وبدون أن يفكر: ما تفكّرش.. اتبسط.. اضحك.. افرح.. ما تشيلش هَمّ.. قول يا

باسط . . وسوف تخرج من عند الدكتوور، وتعتقد أنك نسيت الروشتة، ولكن الحقيقة أن الروشتة والدواء كانوا في هاتين الكلمتين : اضحك، وقول يا باسط .

***

وقد عرف الإنسان الضحكة والنكتة والقفشة من قديم الأزل، وما من شك أن أجدادنا الأوائل كانت لهم مداعباتهم ونكاتهم، التي كانوا يستريحون لها وينسون همومهم ومتاعبهم في الزراعة والصيد . . . يعني مثلاً واحد من الإنسان الأوائل عجوز رايح يصطاد غزال، فتصور ماذا يمكن أن يحدث بينهما من مفارقات؟

تعالوا نتصور . .

ربما كان يستعطف الغزال ويستحلفه بكل ما هو غال إنه ما يكسفوش قدام الأحفاد . . ثم وبعد أن يعتقد أنه صعب على الغزال، يرمي نفسه عليه بهدف السيطرة والامتلاك، فيفر الغزال في اللحظة المناسبة، فينبطح العجوز "جدو" على الأرض . . وهات يا كحة وسعال . . وتأوهات . .

والاسم : راح يصطاد . .

نفس الموقف في الشبه حدث بالفعل مع شخصية حقيقية مصرية مرموقة جدًّا . . جدًّا . . ولها شهرة عظيمة في الأوساط السياسية والطبية في عصر ما قبل الثورة . .

هو "باشا" حقيقي، وشغل منصبًا سياسيًّا مهمًّا للغاية، كان تألقه الحقيقي في مجاله وهو الطب وتحديداً الجراحة، ولكن نظراً لمتطلبات الوجاهة، فإنه كان مضطراً لأن يدعى ذهابه في رحلات صيد في العزبة

التي يملكها، ثم يعود محملاً فوق كتفه بعشرات من الأوز "الوز" مذبوحًا ويقول لأهل بيته في لهجة آمرة: اطبخوا الوز اللي أنا اصطدته النهاردة!

وظل على هذا الحال، وفي يوم من الأيام لم يذهب الرجل (الباشا) في رحلة الصيد الخلوية لوجوده خارج مصر خلال فترة الويك إند، ودق باب السرايا وجاء إعرابي محملاً بعشرات من طائر الوز، سألونه: نعم.. ماذا تريد؟

قال: أبدًا الباشا لم يأتي ليشتري مني الوز الذي يقوم بذبحه أمامي فجئت أنا لأعطيه طلبه!

وانكشفت نكتة الباشا.

***

باشا آخر كان على علاقة حب بمطربة شهيرة قبل الثورة المصرية اسمها "نادرة". وكان دائم السهر في بيتها والعودة متأخرًا، وفي يوم جاء إلى المنزل مبكرًا لانسداد نفسه عن السهر، فوجد زوجته (الهانم) واقفة في منتصف "الهول" وتقول له: "نادرة يا باشا". فقال بخضة حقيقية: دي إشاعات! فقالت الزوجة دون أن تفهم ما يقول: أنا بقول "نادرة" إنك تيجي بدري يا باشا! وعدّى منها الباشا!

***

وفي مصر ظرفاء بالمئات، بل بالآلاف.. يجيدون هضم النكتة ثم إعادة غزلها وإكسابها شيئًا من روحهم المرحة.. وهم معروفون بين الناس بهذه المقدرة الفائقة على إضحاكك حتى لو كانت النكتة متوسطة الحال..

وفي مصر ـ كما في كل العالم ـ ناس دمهم لزج "تقيل جدًّا" يصيبونك بالغممان إذا ما شرعوا في حكي نكتة حتى لو كانت جيدة..

***

والآن بين يديك هذا الحشد الذي ليس له مثيل في كتب مشابهة من النكت الرايقة "البيور"، وما عليك إلا أن تضحك.. وهذه مهمة سهلة جدًّا.. لكن الأصعب هو أن تجرب نفسك في إعادة حكيها للآخرين؛ حتى تكتسب صفة جديدة هي خفة الدم.. التي ستفتح أمامك أبواب الدنيا.. جرب يا أبو دم خفيف وادعي للناشر.

وكثير من كتب النكت المماثلة الموجودة في المكتبات العربية، يحاول أصحابها جاهدين أن يمنحوها بعدًا سياسيًا، أو تاريخيًا، ظنًا منهم أن النكتة العفوية البسيطة التي تفجر الضحكات على وجوه الناس، ليست جديرة بأن تجمع بين دفتي كتاب، ويحاولون التخفي حول معاني سياسية أو فكرية..

ولكننا نقدم بكل فخر هذا الكتاب الفريد الذي يجمع أكبر حشد من الابتسامات والضحكات أملين أن نرسم البسمة فوق الشفاه.

طاهر البهي